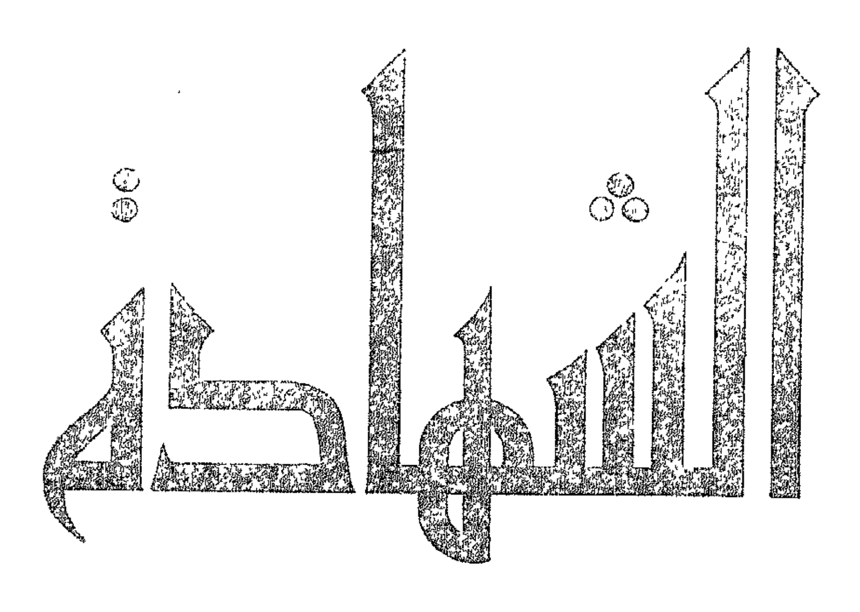
الشهادة

طبعة دار الشروق الاولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت : ص : ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١٠١ - برقيا داشروق
تلكس SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا شروق
تلكس 93091 SHROK UN

أركان الإسلام



عبد الرزاق نوفل

دار الشروق

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المجموعة . . .

من السلسلَةِ الإسلامِيَّةِ ، (أَرْكَان الإسلام) إنما تَهدف إلى بيانِ حقائقِ الإسلامِ وما تحقِّقُه عباداتُه وتكاليفهُ للفرَد والمجتَمع .

وإن كانت هذه المجموعةُ تتخِذ الطابَعَ العلميَّ فى مُعالجتِهَا لأُمورِ الإسلامِ ؛ لأَن العلمَ هو طابعُ هذا العصر ولغتُهُ العالَمِيَّةُ ، فإِنَّ بساطَةَ أُسلوبِهَا تجعلُها قادرةً على تحقيق الهدَفِ من إخراجها على هذه الصورةِ المبسَّطةِ : أَلا وهو وضعُها بين أَيدى أَكبر عدد ممَّن يستطيعونَ قراءتها فيتمكنوا من استيعابها . .

وهذا الكتاب . . .

من هذه السلسلة وهو « الشَّهَادَةُ » ، إنما يهدفُ إلى تعريف الإنسان بأَول رُكن مِن أَركان الإسلام .

نسأَلُ الله جلَّ شأْنه أَن يجعلَنا ممَّن شَهِدُوا ، وأَن يُوفِّقَنَا لأَنْ نَعمَلَ بما تهدفُ إليهِ الشهادةُ ؛ لنجنى ثمارَها فى الدُّنيا والآخِرَة . آمين .

٨٠ شارع قصر العينى القاهرة

عبد الرزاق نوفل

بسم الله الرحمن الرحيم

(يـأَيُّها الَّذين آمنوا آمِنوا بالله وَرَسُولِهِ وَالْكِتَاب الَّذى نَزَّل على رسُولِهِ والكِتَابِ الَّذى أُنْزِلَ مِن قبلْ وَمَن يَكفرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِه وكُتُبِه وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضلَّ ضلالاً بَعِيدًا)   صدق الله العظيم

[١٣٦ سورة النساء]

الشَّهَادَة
أول ركن من أركان الإسلام

إِنَّ أَوَّلَ رُكنٍ مِنْ أَرْكَان الإِسْلَامِ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِله إِلَّا اللهُ ، وَأَن محَمدًا رَسُولُ الله ، وَذَلِكَ بِقَوْل رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ : « بُنِىَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْس : شَهَادَةِ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وحَج الْبَيْتِ » .

وَهٰذهِ الشَّهَادَةُ لأَنَّهَا إِقرَارٌ بِالتَّوْحيد فَتُعْتَبَرُ الْقَاعِدَةَ الأُولَى فى الإِسْلَامِ ، التِى يجب أَنْ يؤمِن بهَا الإنسان إِيمَانا كامِلا مُطْلَقًا

وَالْمُتَدبِّرُ لأَلْفَاظِ الشَّهَادَةِ يَجدُ أَنَّهَا تُشِيرُ إِلى حقَائِقَ كَثِيرَة ، وَتَهْدف إِلى غَايَات عَدِيدَةٍ ، وَتوجهُ الْبَصَرَ وَالْفِكرَ إِلى آفَاقٍ بَعِيدَة ، وَمَشَاهِدَ قَرِيبَة .

فَكَلِمَة (إِلٰه) إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى أَىِّ مَعْبُود أَيًّا كَانَ . . وَكَلِمَةُ (الله) هىَ الاسْمُ الّذى يُطْلَق عَلَى الْخالِقِ سُبْحَانَهُ وَتعالَى .

وَتَكُونُ بذَلِكَ (لَا إِلٰه إِلَّا الله) إِنَّمَا هِيَ نَفْى لأَىِّ عِبَادَة بأَىِّ صُورَةٍ لِغَيْرِ اللهِ . . وَإِقْرَارٌ بِأَنَّ الْعِبَادَةَ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ .

وَإِذَا كَانَ (الْإِلٰه) قَدْ أُطلِقَ عَلَى مَنْ يَسْتَطِيعُ مَا لَا يَسْتَطِيعُهُ الإِنْسَان مِنْ جَلْبِ خَيْر . . أَوْ دَفْعِ شَرٍّ . . أَوْ إِنْزَال الْمَطَر . . أَوْ إِخْرَاجِ الزَّرْعِ ، وَاستَمَرَّ الْإِنْسَانُ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَان طوِيلَةً يَسْتَعْمِلُ فى أَلْفَاظ معْتَقَدَاتِهِ إِله الْخَيْرِ . . وَإِله

الزَّرْعِ . . وَإِلَهَ الْمطَرِ . . وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَإِنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةَ تُؤَكِّدُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ مَنْ بِيَدِهِ كُلُّ أَمْرٍ . وَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ . .

وَإِذَا كَانَتْ كَافَّةُ الدِّيَانَاتِ السَّمَاوِيَّةِ . . وَكَافَّةُ دَعَوَاتِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا كَانَ أَسَاسُهَا دَائِمًا الْإِقْرَار بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالدَّعْوَة إِلى عِبَادَتِهِ . فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ ضَلَّ بِهِمُ التَّصَوُّر وَصَوَّرَ لَهُمْ سُوءُ التَّخَيُّلِ فَأَشْرَكُوا . . أَوْ كَفَرُوا . . وَاعْتَنَقُوا مَا تَصَوَّرُوا . . حَاوَلُوا نَشْرَ هَذِهِ الضَّلَالَاتِ . . لِيَزِيدَ بِهَا إِيمَانُهُمْ وَلَا يَكُونُوا أَفْرَادًا غُرَبَاءَ مَعَ غَيْرِهِمْ . . وَكُلَّمَا انْتَشَرَتْ هَذِهِ الضَّلَالَاتُ الَّتِى كَانَتْ تَأْخُذُ دَائِمًا صُوَرًا لِلتَّمسُّكِ ظَاهِرِيًّا بِالدِّينِ . . كُلَّمَا أَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ « الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ » . . فَهَذَا نَبِىُّ اللهِ وَرَسُولُهُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ يُرْسِلُه اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ عِنْدَمَا وَجَدَ قَوْمَهُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ . . وَهَذَا سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرْسَلَهُ اللهُ عِنْدَمَا وَجَدَ قَوْمَهُ يَتَّخِذُونَ مِنْ رُسُلِهِمْ آلِهَةً أَوْ أَنْصَافَ آلهة . . ثُمَّ سَيِّدُنَا عِيسَى . . لِنَفْس الْقَوْمِ بَعْدَ أَنْ ضَلُّوا ضَلَالاً كَبِيرًا .

وَلَمَّا تَفَشَّى فِى الْعَالَمِ الضَّلَالُ بِالشِّرْك ، وَالْكفرِ . . وَقَالَ الْبَعْضُ إِنَّ الرُّسُل هُمْ أَبْنَاءُ الله . . وَقَالَ غَيْرُهُمْ بَلْ إِنَّهُمْ هُمُ الْآلِهةُ . . وَعَبَدَ غَيْرُهُمْ الْأَصْنَامَ . . أَرْسَلَ اللهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . بِالدَّعْوَة الْأَسَاسِيَّةِ لِكُلِّ الْأَديانِ . . بِالتَّوْحِيد . . وَالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ . . وَعِبَادَةِ اللهِ ، وَحْدَهُ . . وَهَذَا هُوَ أَحَدُ أَهْدَافِ الشَّهَادَةِ . . وَحَتَّى لَا يَنْحَرِفَ أَىُّ مُسْلِم أَوْ يَضِلَّ فِى تَصَوُّرِهِ كَمَا انْحَرَفَ كَثِير قَبْلَ الْإِسْلَام فَيَعْتَقِد فِى رَسُولِ اللهِ غَيْرَ حَقِيقَتِهِ أَوْ يَنْسِبَ لَهُ مَا يجِبُ أَن يَكُونَ لله وَحْدَهُ ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ كَمَا تُقِرُّ

بِالْوحْدَانِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ للهِ فَإِنَّهَا إِقْرَار بِأَنَّ سَيِّدنَا مُحَمَّدًا إِنَّمَا هُوَ رسُولُ اللهِ . . فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُؤْمِنَ إِيمَانًا تَامًّا وَيَتَأَكَّدَ تَأَكُّدًا قَاطِعًا بِأَنَّ رِسَالَةَ سَيدنَا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِيَ رِسَالَةٌ مِنَ اللهِ . . جَلَّ شَأْنُهُ . . وَأَنَّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ دِين ارْتَضَاهُ اللهُ لِعِبَادِهِ . . وَأَنَّ سَيدنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى ذٰلِكَ إِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ لله ، خَلَقَهُ اللهُ كَمَا خَلَقَ غَيْرَهُ مِنَ الْعِبَادِ وَجَرَى عَلَيْهِ مَا يَجْرِى عَلَى الْعِبَادِ مِنْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَزَوَاجٍ وَنَوْمٍ وَحَيَاة وَمَوْت . . وَلٰكِنَّهُ اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ لِيَكُونَ رَسُولَهُ لِلنَّاسِ جميعًا . . فَهُوَ بَشَرٌ كَغَيْرِهِ . . وَرَسُولٌ لله . . كَغَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنبِيَاءِ . .

وَلَفظ الشَّهَادَة . . مَعْنَاهُ الَواضِح المُؤَكَّدُ هُوَ الرُّؤْيَةُ .. فكَأَنَّ مَنطُوقَ الشَّهَادَة هُوَ أرَى أن لا إلهَ إلا الله وأن محمدًا رسول اللهِ فكيف يَرَى الإِنْسَانُ ذَلِكَ . . وَمَا هُوَ السَّبِيلُ ؟

إِنَّ أَعْلَى دَرَجَاتِ الاعْتِقَاد هِيَ الرُّؤْيَةُ . . وَإِنَّهَا لأرفعُ صورِ الإثباتِ وَإِنَّها لأقطعُ الأَدِلَّةِ . . فَلَيْسَ كَمَنْ رَأَى . . وَإِذَا مَا ثَبَتَ لِلْإِنْسَان أَمْرٌ بِالرُّؤْيَةِ فَإِنَّهُ يَعْتَقِدُهُ الاعْتِقَادَ الْجَازِمَ الَّذِى لَا يَخْشَى عَلَيْهِ مِنْ شَكٍّ أَوِ ارْتِيَابٍ طِوَالَ حَيَاتِهِ . .

فَالْإِسْلَامُ يُطَالِبُنَا إِذًا أَنْ نَعْتَقِدَ بِوُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ . . وَبِرِسَالَةِ سَيِّدنَا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتِقَادَ مَنْ رَأَى بِعَيْنَيْهِ فَآمَنَ بِقَلْبِهِ . . وَاطْمَأَنَّ فى نَفْسِهِ . . وَلَمَّا كَانَ طَرِيق الرُّؤْيَةِ هُوَ الْعَيْن . . لِذٰلِكَ وَجَبَ أَنْ نَسْتَخْدِمَهَا فِيمَا يَجْعَلُنَا نَشْهَدُ أَن لَا إِله إِلَّا الله . . وَلَيْسَ ذلِكَ بِالْأَمْرِ الصَّعْبِ . .

أَو الْمُتَعَذِّرِ . . بَلْ إِنَّهْ مِنْ أَيْسَر الْأُمُورِ وَأَسْهَلِهَا . . إِذْ مَا عَلَى الْإِنْسَانِ إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ فِى أَىِّ شَىْءٍ حَوْلَهْ . . وَيَتَفَكَّر فِيهِ . . فَيَجِد فِيهِ دَلِيلا وَاضِحًا مُؤَكَّدًا مَرْئِيًا عَلَى وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ . . فِى السَّمَاءِ . . حَيْثُ النُّجُومُ وَالْكَوَاكِبُ . . وَفِى الْأَرْضِ حَيْثُ النَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ . . وَتَحْتَ الْمَاءِ حَيْثُ الْأَسْمَاكُ وَاللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ . . وَفِى تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ . . وَفِى نُزولِ الْمَطَرِ . . وَفِى تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَار . . فِى أَىِّ شَىْءٍ حَوْلَنَا . . أَوْ مَعَنَا . . بَلْ وَفِى أَنْفُسِنَا . .

وَإِذَا نَظَرَ الإِنْسَانُ إِلَى الْقرْآن الكريم .. وقرأ آياته الشَّريفَة ثم تدبَّرهَا .. فَإِنَّه يَكُونُ قَدْ رَأَى بِعَيْنَيْهِ الدَّلِيلَ الَّذِى لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ بَعْدَهُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَاب لَا يُمكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَمَلِ الْبَشَرِ . . وَأَنَّهُ بِمَا حَوَى مِنْ مُعْجِزَات بَالِغَة . . وَآيَات بَاهِرَة . . إِنَّمَا هُوَ وَحْى مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . . إِلَى عَبْد مِنْ عِبَادِهِ . . اخْتَارَهُ لِهٰذَا الْأَمْرِ . . وكَلَّفَهُ بِهٰذِهِ الرِّسالَةِ . .

وإِذَا استَعْرضَ الْإِنْسان حياة سيدنَا رسُول الله صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّم وجدهُ وُلِد كَما يُولَدُ غَيْرُهُ . وأَنَّهُ عاشَ حياة إِنْسانية كَما يحْياها النَّاسُ . . بلْ كَما يجِبُ أَنْ يحْياها الناسُ . . فَقَدْ كَانَ مُنْذُ طفولَتِهِ صادِقًا أَمِينًا . . لَم تُعْرفْ عنْهُ نَقِيصة ، ولَمْ يرْتَكِبْ فِى شَبابِهِ أَوْ فِى رُجُولَتِهِ أَيَّةَ رذِيلَة . . بلْ ولَا صغِيرَة . . وأَنَّهُ جرى علَيْهِ كُلُّ ما يجْرِى علَى الْبشَرِ . . فَقَدْ جاهد ودافَع وقَاتَل . . وجاع وشبع . . وتزَوَّج وترمَّل . . وأَنْجب الذَّكَرَ وَالْأُنْثى . . وَمَات لهُ الأبُ وَالابْنُ . . وَفَقَدَ الْأُمَّ وَالْبِنْتَ . . وَمَرِضَ وَشفِىَ . . وَكَانَ دَائِمًا يُؤَكِّدُ لِقَوْمِهِ الْحَقِيقَةَ الَّتِى يَجِبُ أَن يُؤْمِنَ بِهَا كَافَّةُ النَّاسِ عَنْهُ ،

وَهِيَ : أَنَّهُ بَشَر مِثْلُ غَيْرِهِ . . إِنَّمَا يُوحَى إِلَيْهِ . . أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ . . وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ . .

وَهٰذِهِ الشَّهَادَةُ . . لَا يَنفَعُ إِسْلَامُ الْمَرْءِ بِدُونِهَا . . فَإِن كُلَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْتَنِقَ الْإِسْلَامَ وَيُصْبحَ فى عِدَاد الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ أَن يَنْطِقَ بِهٰذِهِ الشَّهَادَةِ كَامِلَةً . . وَيُؤْمن بِها . . وَيَعْمَل بِمَا تُوحِى بِهِ . . وَيَعْتَقِد فِيمَا تُشِير إِلَيْهِ . .

الله موجود

إنَّ الْحَقِيقَةَ الْأُولَى الْمُؤَكَّدَةَ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا هٰذَا الْكَوْن هِيَ وُجُود اللهِ . . وَإِن مَظاهِرَ وحدَاتِ هٰذَا الْكَوْن إِنَّمَا تَدُل عَلى قدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَعَلَى وَاسعِ رَحْمَتِهِ وَبَالغِ حكْمَتِهِ . .

وَأَدلَّةُ وُجُود اللهِ كَثِيرَةٌ كَثْرَةً بَالِغَةً ، فَهِي تَزِيدُ عَلَى عَدَد كُلّ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ إِنْسَان وَحَيَوَان وَطَائِرٍ وَنَبَات ، وَعَلَى كُلِّ النَّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْأَفْلَاكِ . . فَيَكْفِي أَنْ نَتَأَمَّلَ إِنْسَانًا أَى إِنْسَان لِنَرَى أَنَّهُ الدَّلِيلُ الْمَلْمُوسُ عَلَى وُجُود اللهِ ، بَلْ يَكفِي لِذَلِكَ أَنْ نَتَدَبَّرَ أَى جزءٍ فِيهِ ، أَوْ نَدْرُسَ أَى عُضو مِنْهُ . . فَأَى إنسان إِذا تأَمَّل أَى جزءٍ فِيهِ هُوَ دَلِيل عَلَى وُجُودِ اللهِ ، وَكَذلِكَ أَيُّ حَيَوَان وَأَيُّ نَبَاتٍ ، وَالنُّجُومُ وَالكَواكِبُ وَالأَفلاَكُ كَذَلِكَ .

وَهُنَاكَ أَدلَّةٌ أُخرَى عَلَى وُجُودِ اللهِ غَيْرِ أَدلَّةِ التَّدبُّرِ فى الْخَلْق وَفى الْكَوْنِ . . مِنْهَا الْفِطْرَةُ الَّتِى عَلَيْهَا الْإِنْسَان . فَالْإِيمَان بِاللهِ فِطرِى فى الْإِنْسَان ، يُحِسُّ بِهِ دُونَ أَنْ يكونَ هُنَاكَ مَصْدَرٌ خَارِجى قَد نَالَهُ مِنْهُ . . فَالطفْلُ الصَّغِيرُ نَجِدُهُ يُؤْمِن بِاللهِ فَهُوَ يُقسِم بِاللهِ أَوْ يَدْعُو اللهَ دُونَ أَنْ يكُونَ فى ذٰلِكَ يُحَاكِي غَيْرَهُ . . وَدُونَ أَنْ يكُونَ قَدْ تَعَلَّمَ ذلِكَ مِنْ سِوَاهُ ، وَنَجدُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا رَفَعَ ذِرَاعَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا أَعْلَى مَكَان يَجبُ أَنْ يَتَّجهَ

إِلَيْهِ عِنْدَ الدُّعَاءِ مِنَ اللهِ وَذٰلِكَ لِعُلُو شَأْن اللهِ وَعَظمَةِ قَدْرِهِ . . وَحَتّى الشَّخْص الْمُلحِدُ الَّذى يَعِيشُ بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ يُعْلِنُ كُفْرَهُ باللهِ . . نَجدُهُ إِذَا أَصَابَهُ الْهَم أَو الْغَم . . أَوْ وَقَعَ بِهِ الضِّيق أَو الْكَرْبُ . . يَلْجأُ إِلَى اللهِ دَاعِيًا بِلَا إِرَادَة مِنْهُ . . وَيَرفَعُ إِلَى السَّمَاء عَيْنَيْهِ بِلَا وَعْى مِنْهُ طَالِبًا الْمَعُونَةَ وَالنَّجَاةَ . . فَهَذهِ الْفِطرَةُ الَّتِى يُخْلَق عَلَيْهَا الإِنْسَان إنمَا هِىَ دَلِيل عَلَى وُجُود اللهِ . .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الْمَنْطِقِيَّة عَلَى وُجُودِ اللهِ . . أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الصَّنْعَةُ تَدُلُّ عَلَى الصَّانعِ . . وَالْأَثَرُ يَدُلُّ عَلَى صَاحِبِهِ . . فَإِنَّ هٰذَا الْكَوْن يدُلُّ عَلى وجُود الله . . فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ مَثَلا أَنَّ مَكْتَبًا جَمِيل الصنْعِ . . دَقِيق الْإِتْقَان . . قَدْ صنعَ بِلَا صَانعٍ . . ؟ وَأَن بَعْض الْأَخشَابِ طَارَتْ فى الْهَوَاءِ . . وَارْتَطَمَتْ بَعْضهَا بِبَعْض فَجَاءَت كلُّ قطعَة فى مَكَانِهَا الْمُنَاسِبِ . . وَبِالطولِ وَالْعَرْضِ وَالارْتِفَاعِ وَالشَّكْلِ المُلَائم . . وَأَن بَعْض الْمَسَامِيرِ مِنْ أَحْجَام مُخْتَلِفَة تَطيرُ فى الْهَوَاءِ ثُمَّ تَدقُّ نَفسهَا فى أَمَاكِنَ مُحَدَّدَة وَبِالْأَطْوَالِ الْمُنَاسِبَةِ فى أَمَاكِنِ الْتقَاءِ الْقِطعِ . . وَأَن سَوَائِلَ مُخْتَلِفَة نزَلَتْ مِنَ الْفَضاء بَعْضهَا لَاصقَة تَلْصَق الْأَجْزَاء بَعْضَهَا بِبَعْض ، وَغَيْرُهَا لِتسَوى سَطحَ الْمَكْتَبِ . . وَغَيْرُهَا . . لِتعْطِيَهُ اللَّوْنَ الْمَرْغوبَ . . وَبَعْضُها لِتضْفى عَلَيْهِ اللَّمْعَةَ وَالْبريق ثم إِذا بِقطعٍ مِن الْمَعَادِنِ قَدْ تَشكَّلَت وحْدَهَا . . لِتَكونَ أَقْفَالَ أَدْرَاجِ الْمَكْتَبِ وَمَفَاتِيحَهُ . . وَمَقَابِضهُ وَكُلَّ مستَلزَمَاتِهِ . . إنَّ مَنْ يُعْلِنُ أَمَامَ النَّاسِ أَنَّ مِثْلَ هٰذَا الْمَكْتَبِ قَدْ وُجِدَ هٰكَذَا وَأَنَّهُ صنعَ بِلَا يَد صَنَعَتْهُ . . وَبِلَا عَقْل صَمَّمَهُ . . وَبِلَا قُوَّة بُذلت فى عَمَلِهِ . . وَأَنَّه وُجِدَ فى

مَكانِهِ الْمُنَاسِبِ هٰكَذَا بِلَا إِشْرَاف مِن الْغَيْرِ عَلَيْهِ أَلَا يَكونَ مَجْبُولا . . إِلَى دَرَجة لَمْ يَعْهَدْهَا إِنْسَانٌ فى الْخَبَلِ أَوِ الْجنُونِ . . ؟

وَهٰكَذَا مَعَ الْفَارِق الْكَبِيرِ فى أَمْرِ الدُّنْيَا . . خُلِقَتْ وَفِيهَا كُلُّ مَا يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ بِالكَمِّيَّاتِ الْمَرْغوبَةِ وَالْأَنْواعِ الْمَطْلُوبَةِ وَالْعَنَاصِرِ الَّتى يَحْتَاجُ إِلَيْهَا . . بكل دقَّة وَإِتْقَان . . فَالْهَوَاءُ الَّذى بِدُونِهِ لَا يعِيش الْإِنْسَانُ ، وَالْمَاءُ الَّذِى هُوَ أَسَاسُ حَيَاتِهِ . . وَالْغِذَاءُ وَهُوَ أَصْلُ وُجُودِهِ . . يَتَكَوَّنُ كُل مِنْهَا مِنْ عَنَاصِرَ مُحَدَّدَة ومُخْتَلِفَة . . لِيُوَائمَ طَبِيعَةَ الْإِنْسَان وَيَسُدَّ حَاجَتَهُ . . وَلَوْ زَادَ عُنْصُر عَلَى غَيْرِهِ . . وَلَوْ زِيَادَةً طَفِيفَةً لا نقَلَبَ الْأَمْرُ . . وَتغَيَّر الْوَضْعُ . . وَبَدَلا مِنَ أَنْ يَكُون سَبَبًا لِحَيَاتِهِ . . يَكون طَرِيقًا لِمَمَاتِهِ . . فَمَثَلا يَتَكَوَّن الْمَاءُ مِنْ أُكسُجِين وَإِيدرُوجين ، فَلَوْ كَانَ أُكْسُجِينًا فَقَطْ مَا أَصْبَحَ مَاء . . وَمَا اسْتَفَادَ الْإِنْسَانُ بِهِ . . وَلَوْ أَصْبَحَ إِيْدرُوجينا فَقَطْ . . لَاحْتَرَقَ الْإِنْسَان مِنْهُ . . وَلَكِنْ بِالنسْبَة الْمحَدَّدَةِ وَالْكَميةِ الْمُعَيَّنَةِ غَيْرِ الْمُتَسَاوِيَةِ . مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا يُصْبِحَان مَاءً . . يُرْوِى وَيُنْعِش . . وَهٰذَا الْهَوَاءُ . . لَوْ زَادَتْ نِسْبَةُ أَى مُكوِّنٍ مِنْهُ عمَّا هِىَ عَلَيْهِ لَاخْتَنَقَ الْإِنْسَانُ . . وَهٰذَا النَّبَاتُ بِهِ عَنَاصِر تفِيدُ الإِنْسَانَ ، وَفَائِدَتُهَا فى أَنَّهَا بِكَمِّيَّات ضَئِيلَة جِدًّا تُعْتَبَرُ آثَارًا . . فَإِذَا زَادَتْ . . أَصْبَحَتْ سُمًّا لَهُ . . تَقْتُلُهُ . . كَالزِّرْنيخ وَالرصَاصِ وَالْمَنْجَنِيز وَغَيْرِهَا . . تُرَى هَلْ كُلُّ هٰذَا تَمَّ مُصَادَفَةً . . بِلَا خالِقٍ قَوِى حَكِيمٍ عَلِيمٍ خَبِيرٍ ؟ . .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا وَجَدْنَا عَجَبًا ، وَأَىَّ عَجَبٍ . . فَهَذِهِ الْعَيْنُ الَّتِى نَرَى بِهَا . . نَجِدُ لَهَا جُفُونًا وَأَهْدَابًا . . فَأَمَّا الْجُفُونُ فكَان الاعْتِقَادُ أَنَّهَا

وقَايَةٌ خَارِجِيَّةٌ لِلْعَيْنِ . . وَوَصَلَ الْعِلْمُ أَخِيرًا إِلَى أَنَّ حَرَكَةَ الْجَفْنِ إِنَّمَا هِيَ عَمَلِيَّة مسْح دَاخلِي لِلْعين بِسَوَائِلَ تُفرزهَا غُدَدٌ خَاصَةٌ لِتَجْعَلَ حَرَكَةَ الْعَيْنِ سَهْلَةً وَمَيْسُورَةً وَتُمَكِّنَهَا مِنَ الرُّؤْيَةِ بِاستِمْرَارٍ وَبِوُضوحٍ . وَبِدُونِ هٰذِهِ الْحَرَكَةِ تُصَابُ الْعَيْنُ بِالضَّرَرِ وَتَعْجز عَنْ أَدَاءِ عَمَلِهَا . . وَأَمَّا الْأَهْدَابُ فَإِنَّهَا تَمْنَعُ الْغُبَارَ وَالتَرَابَ مِنْ دُخولِ الْعَيْنِ . وَتَكْسر أَشِعَّةَ الشَّمْسِ حَتَّى لَا تُصَابَ الْعَيْنُ بِأَيِّ أَذًى . . ترى لِمَاذَا لَمْ توضع الْجُفون وَالْأَهْدَابُ عَلَى الْأَنْفِ مَثَلاً أَوْ عَلَى الْفَمِ ؟ وَلِمَاذَا نَجدُ فِي الْفَمِ بَدَلا مِنْ ذٰلِكَ الْأَسْنَان الَّتِى تَقْطَعُ الطَعَامَ ، وَالْغُدَدَ اللعَابِيَةَ الَّتِى تَهْضِمُه ؟ . . ترى هَلْ لَوْ وُضِعَتِ الْغُدَد الدَّمْعِيَّة فِي الْفَمِ وَالْغُدَدُ اللعابِية فى الْعَيْنِ . . هَلْ كَانَ يَعِيش الْإِنْسَان ؟ . . وَهَلْ فكَّرَ الْإِنْسَان مِنا لِمَاذَا تَنْتَهِى الْيَد بِالْأَصَابعِ ؟

وَهَلْ لَوْ لَمْ تَكُنْ بِالْيَدِ هٰذِهِ الأَصَابعُ هَلْ كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَنَاوَلَ طَعَامَهُ ؟ . . أَوْ يُمْسِكَ بِشرَابِهِ ؟ . . أَوْ يَكْتُبَ أَوْ يَأْخُذَ أَوْ يَدْفَعَ ؟ . . وَكَيْفَ تَكُونُ حَيَاتُهُ إِذًا ؟ . . وَهٰكَذَا لَوْ تَدبَّر الْإِنْسَانُ فى أَىِّ جِهَازٍ مِنْ أَجْهِزَتِهِ . . لَوجَدَ الْقَصْدَ وَحُسْنَ التَّدْبِيرِ . وَلَتَأَكَّدَ تَأْكُّدًا قَاطعًا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يعْتَبَرُ دَلِيلا عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهِ وَسعة رَحْمَتِهِ . . وَبَالِغِ حِكْمَتِهِ . .

وَهَلْ إِذَا رَأَيْنَا كُرَةً مِنْ حَدِيد . . مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةَ الْحَجْمِ . . مُعَلَّقَةً فِي فَضَاءِ غرْفَة . . أَنصَدِّق مَنْ يَقولُ إِنَّهَا هٰكَذَا تَقِفُ فِي الْفَضَاءِ بِلَا قُوَّة تُمْسِكهَا ؟ . أَمْ أَنَّ هُنَاكَ أَسْلَاكًا لَا بُدَّ تَشُدهَا إِلَى السَّقفِ فَتَمْنَعُ سُقوطَهَا . . وَإِذَا وَجَدْنَا هذِهِ الْكُرة تَلُفُّ حَوْلَ نَفسِهَا . . ثمَّ تَدُور فِي الْغُرْفةِ دَوْرات مُنْتَظِمَة رَتِيبَة . . فَهِيَ أَمَامَ النَّافِذَةِ فِي سَاعَة مُعَيَّنَة . . وَأَمَامَ الْبَابِ

فِى لَحْظَة مَحْدُودَة . . وَأنَّهَا تَتِمُّ الدَّوْرَةَ فى مُدَّة مُقَرَّرَة . . وَأنَّنَا قَدْ تَابَعْنَا هذِهِ الْحَرَكَة مُدَّةً طَوِيلَةً . . فَلَمْ نَجدْ أىَّ اخْتِلَاف طَرأَ عَلَيْهَا . . وَلَمْ نَشْعُر بِأَىِّ تَغْيِيرٍ حَدَثَ فِيهَا . وَأنَّنَا قَضَيْنَا اللَّيْلَ وَمَرَّ عَلَيْنَا النَّهَارُ . . وَهٰذِهِ الْكُرَةُ عَلَى هٰذِهِ الْحَرَكَةِ الرَّتِيبَةِ الدَّائِمَةِ . . فَهِىَ أَبَدًا مُعَلَّقة فى الْفَضَاء ، وَأَبدًا تَدُورُ بِانْتِظَامٍ . . فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نُسْنِدَ ذٰلِكَ إِلَى لا شَىء ؟ أَمْ نَقُولُ إِنَّ هُنَاكَ مَنْ قَاسَ الْأَبْعَادَ وَالزَّوَايَا . . وَقَدَّرَ الارْتِفَاعَ وَصَمَّمَ الْحَرَكَةَ . وَحَسَبَ الْوَزْنَ وَالْحَجْمَ . . فَوَضَعَ عَلَى أَبْعَاد مُنَاسِبَة قُوًى كَهْرَبَائِيَّة وَأُخْرى مِغْنَاطِيسِيَّةً ، وَأَوْجَدَ حَرَكَات طَارِدَة وَأخْرَى جَاذِبَةً . . حَتَّى صَارَتَ هٰذِهِ الكُرَةُ وَهٰذِهِ الْحَرَكَةُ عَلَى مَا هِىَ عَلَيْهِ . . وَعَلَى قَدْرِ طولِ الْمُدَّةِ الَّتِى تَظَلّ عَلَيْهَا الْكُرَة بِحَرَكَتِهَا مُنْتَظِمَةً يُمْكِنُ الْحُكمُ عَلَى دِقَّةِ مَنْ قَامَ بِخَلْقِ هَذَا الْعَمَلِ . . وَالْقِيَاسُ مَعَ الْفَارِقِ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْكُرَةِ الْأَرْضِيَةِ . . فَهِىَ كُرَةٌ كَتِلْكَ الْكُرَةِ الْحَدِيدِيةِ ، وَلٰكِنَّ أَبْعَادَهَا وَوَزْنَهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَخْطُرَ عَلَى بَال الإِنْسَان . . فَقَدْ تَمَكَّنَ الْعُلَمَاءُ عن طريقِ قِيَاسِ الْمَسَافَاتِ مِنْ مَعْرِفَةِ أَبْعَادِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ ، فَوَجَدُوا أَنَّ مُحِيطَهَا يَبْلُغُ ٣٩٥٠٠ كِيلُو مِتْر تَقْرِيبًا ، وَأَنَّ قُطْرَهَا طُولُهُ يَبْلُغُ ١٢٧٠٠ كِيلُومِتْرٍ تَقرِيبًا ، وَعَنْ طَرِيقِ قَوانِينِ الْجَاذِبِيَّةِ عَرَفُوا أَنَّ وَزْنَهَا يَبْلُغُ نَحْوًا مِنْ ٦ آلَافِ تِرِيلْيُون مِنَ الْأَطْنَانِ ، أَىْ رَقْمُ سِتَّة مَسْبُوقًا بِسَبْعَة وَعِشْرِينَ صِفْرًا . . هٰذَا هُوَ وزنُ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ الَّتِى يَعِيشُ عَلَيْهَا حَالِيًا ستة آلَافِ مِلْيُونِ إِنْسَان . . فَأَىُّ ضَخَامَة تِلْكَ الَّتِى عَلَيْهَا الْكُرَةُ الْأَرْضِيَّةُ ! ! . . هٰذِهِ الْكُرَةُ الضَّخْمَةُ تَتَحَرَّكُ فِى الْفَضَاء ، وَلَا تَتَحَرَّكُ حَرَكَةً وَاحِدَةً ، بَلْ لَهَا حَرَكَتَان : حَرَكَةٌ تَلُفُّ فِيهَا حَوْلَ نَفْسِهَا وَتُتِمُّهَا مَرَّةً

كُلَّ يَوْمٍ ، أَىْ كُلَّ ٢٤ سَاعَةً ، وَحَرَكَةٌ حَوْلَ الشَّمْسِ . . وَتُتِمُّ دَوْرَتَهَا حَوْلَهَا مَرَّةً كُلَّ سَنَة ، أَىْ كُلَّ ٣٦٥ يَوْمًا . . أَمَّا الْمُدَّةُ الَّتِى ظَلَّتْ فِيهَا هٰذِهِ الْكُرَةُ مُعَلَّقَةً فِى الْفَضَاءِ وَعَلَى هٰذِهِ الْحَرَكَةِ . . فَإِنَّهَا بَلَغَتْ مُنْذُ أَنْ وُجِدَ الإِنْسَانُ عَلَيْهَا حَتَّى الْيَوْمِ . . وَأَمَّا مَا قَبْلَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ . . فَقَدْ تَكُونُ الْمُدَّةُ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ . . وَقَدْ لَا تَكُونُ . . وَأَمَّا بَعْدَ ذٰلِكَ . . فَسَتَسْتَمِرُّ مَا شَاءَ اللّٰهُ لَهَا أَنْ تَبْقَى ! ! وَلَيْسَتْ هٰذِهِ الْكُرَةُ الْأَرْضِيَّةُ الضَّخْمَةُ هِيَ الْكُرَةُ الْوَحِيدَةَ الْمُعَلَّقَةَ فِى الْفَضَاءِ . . بَلْ إِنَّ لَهَا إِخْوَة هِيَ : عطَارِدُ ، وَالزُّهْرَةُ ، وَالمرِّيخُ ، وَالْمُشْتَرى وَزُحَلُ ، وَأُورَانُوس ، ونِبْتُونُ وَبْلُوتو . . وَهٰذِهِ التِّسْعَةُ الكَوَاكِبُ لِمُعْظَمِها أَقمَار . . فَمِنْهَا مَا لَهُ قَمَرٌ وَاحِد . . وَهِيَ الْأَرْضُ وَنِبْتون . . وَأَمَّا الْمَرِيخُ فَلَهُ قَمَرَانِ ، وَأُورَانُوس لَهُ أَربعَةٌ ، وَالْمُشْتَرى لَهُ ثَمَانِيَة ، وَأَمَّا زُحَلُ فَلَهُ تِسْعَةُ أَقْمَارٍ ، وَلَيْسَ لِعُطَارِدَ وَالزُّهْرَةِ أَقْمَارٌ . . وَهٰذِهِ الْكَوَاكِبُ التِّسْعَةُ وَأَقْمَارُهَا تَلُفُّ حَوْلَ الْأُمِّ الْكَبِيرَةِ الشَّمْسِ الَّتى تُعْتَبَرُ شَيْئًا رَهِيبًا وَغَامِضًا فَمُحِيطهَا مِثْلُ مُحِيطِ الْأَرْضِ ٣٢٥ مَرَّةً ، وَوَزْنُهَا ٣٠٠ أَلْفِ ضِعْفِ وَزْنِ الْأَرْضِ . . وَتَبْلُغُ دَرَجَةُ حَرَارَةِ سَطْحِهَا وَهُوَ الْأَقلُّ حَرَارَةً نَحْوًا مِنْ ٥٥٠٠ دَرَجَة مِئَوِيَّة . . وَبِالرَّغْمِ مِنْ حَرَارَتِهَا الَّتِى تُشِعُّهَا دَائِمًا وَأَبَدًا . . لَيْلاً وَنهَارًا . . لِأَنَّهَا تُشْرِقُ عَلَى قَوْمٍ آخَرِينَ عِنْدَما تَغْرُبُ عَنَّا . . فَهِيَ دَائِمًا فِى إِشْرَاقٍ . . فَإِنَّهَا لَمْ تَفْقِدْ مِنْ حَجْمِهَا وَلَا مِنْ وَزْنِهَا وَلَا مِنْ حَرَارَتِهَا شَيْئًا . . وَمَا زَالَ الْعِلْمُ يَعْتَرِفُ بِأَنَّ تَجَدُّدَ حَرَارَةِ الشَّمْسِ وَاحْتِفَاظَهَا بِكُتْلَتِهَا بِلَا تَغَيُّرٍ بِسَبَبِ احْتِرَاقِهَا . . يُعْتَبَرُ أَمْرًا غَرِيبًا . . وَسِرًّا غَامِضًا . . لَمْ يُمْكِنِ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ . . أَوْ التكَهُّنُ بِهِ . . هٰذِهِ الْأُسْرَةُ الشمْسِيَّةُ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ

عَجَائِبَ وَأَسْرَار . لَيْسَتْ إِلَّا فَرْدًا مِنْ مَجْمُوعَة أَكْبَر . . هِيَ الْمَجْمُوعَةُ الْمجرِيَّةُ . . وَهذِهِ أَيْضا كُلُّهَا . . لَيْسَتْ إِلَّا فَرْدًا مِنْ مَجْمُوعَةِ المُدُن النَّجْمِيَّةِ . وَهٰذِهِ تَتْبَعُ أُخْرَى أَكْبَرَ . . وَبِذَلِكَ فَإِنَّ عَدَدَ النُّجُوم وَالْكَوَاكِبِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْفَضَاء يُمْكِنُ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ عَدَدِ حُبَيْبَاتِ الرِّمَالِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى شَوَاطِئْ بِحَارِ الدُّنْيَا . . وَلَا يُمْكِنُ بِذَلِكَ أَنْ تُوضَعَ تَحْتَ الْعَدِّ وَالْحَصْرِ . . وَإِذَا مَا استَعْرَضْنا أَحْجَامَ هٰذِهِ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْأَفْلَاكِ وَجَدْنَا أَنَّ الْكُرَةَ الْأَرْضِيَّةَ تُعْتَبَرُ أَصْغَرَ مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِي الْحَصْرِ مَعَ مَا يُوجَدُ فِي السَّمَاء . . وَأَنَّ الشَّمْسَ الْهَائِلَةَ . . لَا تُعْتَبَرُ شَيْئًا بِجِوَارِ النُّجُوم الْأُخْرَى الَّتِي تَزِيدُ عَلَيْهَا مَلَايِينَ الْمَرَّاتِ . . حَجْمًا وَوَزْنًا . . وَحَرَارَةً . . فَيَاتُرَى هٰذِهِ الْأَعْدَادُ الْهَائِلَةُ مِنَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْأَفْلَاكِ بِهَذِهِ الْأَوْزَانِ الضَّخْمَةِ . . وَالَّتِي تَلُفُّ وَتَدُورُ بِسُرْعَات مُخْتَلِفَة . . وُهِيَ كُلُّهَا مُعَلَّقَةٌ فِي الْفَضَاءِ مُنْذُ أَزْمَان سَحِيقَة لَا يَتَخَيلُهَا الْإنْسَانُ . . وَلَا يَتَّسِعُ الْعَقْل لا ستِيعابِهَا . . هَلْ تَقِفُ هٰكَذَا فِي الْفَضَاءِ . . بِلَا قوَّة تُمْسِكُهَا ؟ . وَهَل هَذِهِ الْحَرَكَاتُ الدَّقِيقَةُ الَّتِي لَا تَجْعَلُهَا تَصْطَدِمُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . . وَالَّتِي يَتَوَلَّدُ عَنْهَا مَا يحققُ الْحَيَاةَ لِمَنْ يَعيشونَ عَلَى كَوَاكِبِهَا . . حَرَكَات بِلَا حِسَابٍ أَوْ تَقْدِيرٍ ؟ , إِنَّ الْحَرَكَةَ الدَّقِيقَةَ الَّتِي تَلُفُّ بِهَا الْأَرْضُ حَوْلَ نَفْسِهَا تَحْفَظُ مِيَاهَ الْمُحِيطَاتِ وَالْأَنْهَارِ مِنْ أَنْ تَتَنَاثَرَ خَارِجهَا . . وَتَحْفَظنَا نحْنُ أَيْضًا مِنْ أَنْ نَسْقُطَ مِنْهَا إِلَى الْفَضَاءِ . . وَذٰلِكَ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ قُوى جَاذِبِيَّتِهَا التى تَجْذِبُ كُلَّ مَا عَلَيْهَا إِلَيْهَا . . وَإِنَّ أَيَّ تَغَيُّرٍ فِي حَرَكَتِهَا . . مَعْنَاهُ انْتِهَاءُ الْحَيَاةِ عَلَيْهَا . . وَهَلَاكُ الْأَحْيَاءِ مِنْهَا . . وَهٰذِهِ الْأَزْمِنَة

السَّحِيقَةُ . . وَمِئَاتُ الْمَلَايِينِ مِنَ الْأَعْوَامِ الْعَدِيدَةِ . . الَّتِى ظَلَّ فِيهَا هَذَا الْكَوْنُ . . بِهَذَا النِّظَامِ الْمُتْقَنِ الْعَجِيبِ . . أَهُوَ هَكَذَا نَشَأَ وَحْدَهُ مُصَادَفَةً ؟ . . وَقَامَ وَحْدَهُ . . أَيْضًا مُصَادَفَةً ؟ وَلَا يُشْرِفُ عَلَى وُجُودِهِ . وَلَا عَلَى قِيَامِهِ . . وَلَا عَلَى حَرَكَتِهِ أَحَدٌ ؟ . أَمْ تُرَى لَابُدَّ هُنَاكَ مَنْ أَوْجَدَهُ . . وَقَدَّرَ لَهُ سَيْرَهُ . وَحَرَكَتَهُ . . وَيُشْرِفُ عَلَيْهِ دَوَامًا لِيَحْفَظَهُ ؟ . . فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ . . تُوجَدُ أَىُّ فُرْصَة لِأَىِّ قَوْلٍ بِالشَّكِّ فى وُجُودِ اللهِ ؟ . .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الْمُشَاهَدَةِ الْمَلْمُوسَةِ عَلَى وُجُودِ اللهِ . . أَنَّ الْإِنْسَانَ مِنا لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ يَقِينًا . . فَلَا بُد إِذًا أَنَّ هُنَاكَ خَالِقًا خَلَقَهُ . . كَمَا أَنَّ النَّوْعَ الْإِنْسَانِى كُلَّهُ لَمْ يَخْلُقْ أَىَّ كَائِنٍ آخَرَ . مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا . . فَلَا بُدَّ أَنَّ الكَائِنَاتِ كَذَلِكَ كُلَّهَا خَلَقَهَا خَالِقٌ مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الْإِنْسَانِ . . فَلَمْ يخلق الْإِنْسَانُ أَبَدًا ذُبَابَةً أَوْ بَعوضَةً . . وَلَمْ يَخْلُقْ نَبَاتًا أَوْ شَجَرَةً . . فَهُوَ إِنْ كَانَ قَدْ وَضعَ الْبِذْرَةَ وَتَعَهَّدَهَا بِالرِّى ، فَإِنَّهُ لَا دَخْلَ لَهُ فِيمَا يَحْدُثُ حَتَّى يَتَكَوَّنَ النَّبَات . . فَالْبِذْرَةُ كَائِنٌ حَىٌّ لَمْ يَخْلُقْهُ الْإِنْسَانُ . . وَقَدْ تَكَوَّنَ مِنْهَا النَّبَاتُ . . وَحَتَى لَوْ لمْ يَضَعِ الْإِنْسَانُ الْبِذْرَةَ فى الْأَرْضِ . . وَحَتى لَوْ لَمْ يَقُمْ هُوَ بِرَيِّهَا فَإِنَّهَا لَا شَكَّ سَتُنْبِتُ وَتُخْرِجُ ثِمَارَهَا . . فَعِنْدَمَا نَعُودُ إِلَى الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ . . نَجِدُهُ عَاشَ . . وَتَنَاسَلَ . . فَلَا بُدَّ أَنَّهُ تَغَذَّى . . وَلَمَّا كَانَ غِذَاءُ الْإِنْسَان لَابُدَّ أَنْ يَكونَ نَبَاتًا . . أَوْ حَيَوَانًا . . وَالْحَيَوَان لَا بُدَّ أَنْ يَتَغَذَّى عَلَى النَّبَات . . فَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْأَوَّلَ حَتْمًا وَجَدَ النَّبَاتَ عَلَى الْأَرْضِ . . وَأَنَّ النَّبَاتَ زرعَ بِلَا دَخْلٍ مِنَ الْإِنْسَانِ أَصْلاً . . وَالْمُشَاهَدُ حَتَّى الآنَ أنَّ عَدِيدًا مِنْ أَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ تَنْمُو وَحْدَهَا . . إِذْ تَسْقُطُ الْبُذُورُ مِنَ

النَّبَاتِ عَلَى الْأَرْض وَتمطِرْ السَّمَاء . . فَتَنْمُو الْبِذْرَةْ . . وَتُصْبِحُ نَبَاتًا لِتُعِيدَ دَوْرَتَهَا مَرَّةً أُخْرَى . . فَهُنَاكَ خَالِق يَقِينًا خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالنَّبَاتَ وَالْحَيَوَانَ . . وَيَتَعَجَّبُ الْإِنْسَان لَوْ تَأَمَّلَ وَتَدبَّر أَصْنَافَ النَّبَاتَاتِ وَأَشْكَالَهَا وَأَلْوَانَهَا وَمَذَاقَهَا . . فَمِنْ طِينٍ أَسْوَدَ . . وَمِنْ مَاءٍ عَكِرٍ . . وَحَبَّة صَغِيرَة كالحَة نَجِدُ أَنَّهُ يَخْرُجُ الْأَبْيَضُ وَالْأَخْضَرُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَصْفَرُ . . وَالْحُلْوُ وَالْمُرُّ . . وَالنَّاعِمُ وَالْخَشِنُ . . وَكُلّ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ إِنَّمَا كانَ لِيُحَقِّقَ الْحَيَاةَ لِلْإِنْسَانِ . . وَيقْضِى كُلَّ رَغَبَاتِهِ . . وَقَدْ وَقَفَ الإِنْسَان بُرْهَةً قَصِيرَةً وَهُوَ يَتَسَاءَلُ : تُرَى لمَاذَا تُوجَدُ هٰذِهِ الْحَشَائِش الَّتِى اعتُبِرَت ضَارَّةً فى نَظَرِهِ ؟ . وَحَاوَلَ أَن يُقَاوِمَهَا مِرَارًا . . وَانْدَهَشَ عِنْدَمَا وَجَدَ الْحَيَوَانَ الَّذِى لَا يَتَمَيَّزُ بِالْعَقْلِ كالْإِنْسَانِ . . يَلْجَأُ إِلَى حَشَائِشَ بِعَيْنِهَا عِنْدَمَا تُصِيبُهُ الْأَمْرَاض . . وعِنْدَئِذ انْفَتَحَت أَمَامَهُ أَبْوَاب الْمَعْرِفَةِ . . إِذْ وَقَفَ عَلَى أَسْرَارٍ جَدِيدَة فى الْحَيَاةِ . . إِنَّ هٰذِهِ الْحَشَائِشَ لَمْ تُخْلَقْ عَبَثًا . . بَلْ إِنَّهَا أَهَمُّ مِنَ الْحُبُوبِ وَالفَوَاكِه وَالْأَزْهَارِ . . إِنَّهَا عِلَاجٌ لِكُلِّ أَمْرَاضِ الْإِنْسَانِ . . الَّتِى يُصَابُ بِهَا عَنْ طَرِيقِ تَصَرُّفَاتِهِ نَحْوَ نَفْسِهِ . . وَأَصْبَحَ الْآنَ يَسْتَخلِصُ مِنْهَا كُلَّ أَصْنَافِ الدَّوَاءِ . . وَمَا مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَلَهُ دَوَاء . . فَلو أَمْكَنَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُطِيلَ الْبَحْثَ فِيمَا يُوجَدُ مِنْ حَشَائِشَ وَخَصَائِصِهَا وَفَضَائِلِهَا . . لَأَمْكَنَ أَنْ يَهْزِمَ كُلَّ مَرَضٍ وَدَاءٍ . . وَتَنَوُّعُ النَّبَاتَاتِ . . إِنَّمَا وجِدَ لِيُمِدَّ جِسْم الْإِنْسَانِ بِكُلِّ الْعَنَاصِرِ اللَّازِمَةِ وَالضَّرُورِيَّةِ لهُ . . وَقَدِ اتضَحَ أَنَّ أَيَّ عَنَاصِرَ أُخْرَى مُمَاثِلَةً لِعَنَاصِرِ النَّبَاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَفِيَ بِحَاجَاتِ الْجِسْمِ . . وَمِنْ ذٰلِكَ أَمْكَنَ مَعْرِفَةُ أَنَّ عَنَاصِرَ النَّبَاتِ تحتَوِى عَلَى مَوَادَّ أُخْرَى كَالْفِيتَامِينَاتِ وَالْهِرْمُونَاتِ لَا تُوجَدُ فى

غَيْرِهَا . . فَهَلْ يَا تُرَى كُلُّ هٰذِهِ التَّرْتِيبَاتِ الدَّقِيقَة . . وَهٰذِهِ الْإِعْدَادَات الْعَجِيبَةِ حَتى تَقُومَ الْحَيَاة كامِلَةً وَسَهْلَةً لِلإِنْسَانِ . . هَلْ هِيَ قَامَتْ هٰكَذَا وَحْدَهَا . . بِدُونِ أَيِّ قُوَّةٍ أَوْجَدَتْهَا . . أَوْ أَى حِكْمَةٍ شملتها . . أَوْ أَى تَدْبِيرَاتٍ صَمَّمَتْهَا ؟

وَالْحَيَوَانُ وَالطَّيْرُ لوْ تَأَمَّلَهَا الْإِنْسَانُ لَوَجَدَ الْعَجَبَ . . الْعِظَامُ وَاحِدَة . وَلٰكِنْ فِى الطَّيْرِ نَجِدُهَا مُجَوَّفَة . . لِيَتَمَكَّنَ الطَّيْرُ مِنَ الطَّيرانِ . . بَيْنَمَا فى الْحَيَوَان غَيْرُ ذٰلِكَ . . وَأَجْهِزَةُ الْحَيَوَانِ وَالطَّيْرِ كُلُّهَا تَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى تَدْبِيرٍ مُتْقَنٍ وَصُنْعٍ عَجِيبٍ . . وَحِكْمَة بَالِغَة . .

وَهٰكَذَا تَتَعَدَّدُ الْأَدِلَّةُ الَّتِى تُؤَكِّدُ وُجُودَ الله . . فَلَا يُمْكِنُ لِأَىِّ مُتَأَمِّلٍ فى هذا الْكَوْن وَلَا متدبِّرٍ لأَىِّ وَحْدَة مِنْ وَحَداتِهِ إِلَّا وَيُؤْمِنُ إِيمَانًا كَامِلا بِوُجُود اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ . . وَيُحِس بِقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ . .

وَصَدَقَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِذْ تَقُولُ آيَاتُهُ الشَّرِيفَةُ !

(إِنَّ فى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَة آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْق فَأَحْيَا بِهِ الأَرضَ بَعْدَ مَوتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) . [٣ - ٥ سورة الجاثية]

الله أحد

لَقَدْ تَأَكَّدَت الْحَقِيقَةُ الْقَاطِعَةُ الَّتِى يُشِيرُ إِلَيْهَا هٰذَا الْوُجُود ، وَهِىَ أَن لَهُ رَبًّا خَلَقَه سُبْحانَه وَتَعَالى . . وَلقَدْ كانت هَذِهِ الْحَقِيقَة الفطرِيَّة مُؤَكدَة فى نُفُوسِ النَّاسِ مُنْذُ أَن وجد الإنسان الأَول ، وَلكِنْ ظَهَرَتْ بَعْض الْآرَاءِ الْخَاطِئَةِ عنْدَ بَعْضِ النَّاسِ فى بَعْضِ الْأَزْمِنَةِ نَتِيجَةً لِتَخَيُّلَات غَيْرِ صَحِيحة وَتَصَوُّرَات مَرِيضَة . . وَقَالَتْ هٰذِهِ الْآرَاءُ بِتَعَدُّدِ الْآلِهَة . . وَحَتّى أَصْحَابُ هٰذِهِ الآرَاءِ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ بِرَغم تَعَددِ الآلِهَة فَإِن الله هُوَ الَّذِى يَرْجعُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ كُلهُ . . فَقَدْ سَأَلَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنَ حُصَيْنٍ قَبْلَ إِسْلَامِهِ قَائِلاً : (كَمْ لَك مِنْ إِله) فَقَالَ عِمْرَان : (عَشْرَةٌ) ، فَقَالَ النَّبِى : (فَمَنْ لِغَمِّكَ وَكَرْبِكَ وَرَفْعِ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ إِذَا نَزَلَ بِكَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ ؟) فَقَال عمْرَان : (اللهُ) ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصّلَاةُ والسَّلَامُ : (مَالَكَ مِنْ إِله غَيْرُهُ) .

وَوَحْدَانِيَّةُ الله أَمْر مُقَرَّرٌ يُؤَكدُهُ الْعَقْلُ وَيُشِيرُ إِلَيْه الْوُجُودُ أَيْضًا . . فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ حَتَى نَقولَ بِوُجُودِ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِد . . فَلَوْ كَانَ يُوجَدُ أَكثَرُ مِنْ إِله وَاحِد فَمَنْ سَبَقَ الْآخَرَ . أَوْ الْآخرِينَ ؟ وَمَنْ أَوْجَدَه أَوْ أَوْجَدَهُمْ . . منْهُمْ ؟ فَمَنْ سَبَقَ فَهُوَ اللهُ . . وَمَنْ لَحِقَ فَهُوَ عَبْدُ اللهِ . . ومَنْ خَلَقَ فَهُوَ الْخَالِقُ وَمَنْ خلِقَ فهو مَخْلُوق . . وَإِذا فَلَا إِله إِلَّا اللهُ . . وحده .

وَالتَّنَاسُقُ الْمَوْجُودُ فى الْكَوْن إِنَّمَا يُؤَكِّدُ وَحْدَانِيَّة اللهِ سُبْحَانَه وَتَعَالَى . . فَالْأَرْض وَالنَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ وَالْإِنْسَان عَنَاصِرُهَا كُلُّهَا وَاحِدَة . . وَكَذَلِك الْهَوَاءُ وَالْمَاءُ عَنَاصِرُهُمَا هِيَ بَعْضُ عَنَاصِرِ الْإِنْسَان ، بَلْ إِنَّ عَنَاصِرَ الشَّمْسِ وَالنجُومِ وَالْأَفلَاكِ كُلُّهَا مِنْ عَنَاصِرَ وَاحِدَة . . فَكَأَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ عَنَاصِرُهُ وَاحِدَةٌ . . الْأَمْرُ الَّذِى يُؤَكِّدُ أَنَّ أَصْلَهُ وَاحِد . . وَقَدْ وَصَلَ الْعِلْمُ إِلَى هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ وَهِيَ أَنَّ أَصْلَ هٰذَا الْكَوْن وَاحِد . . الْأَمْرُ الَّذِى يُؤَكِّدُ أَنَّ خَالِقَهُ وَاحِد . . وَإِلَّا كَانَ الْأَمْرُ لَا بُدَّ يَخْتَلِفُ . . إِذْ لَوْ كَانَ خَالِقُ السَمَاءِ غَيْرَ خَالِقِ الْأَرْضِ لَاخْتَلَفَت الْعَنَاصِرُ بِاخْتِلَافِ الْخَالِق . . وَإِذَا تَدَبَّرْنَا كُلَّ مُكَوِنَاتِ هٰذا الْوُجُودِ لَوَجَدْنَا التَّوْحِيدَ يَظْهَرُ وَاضِحًا جَلِيًّا . . فَكُلُّ مَا يَتَكَوَّن مِنْهُ الْكَوْن سَوَاء كَانَ حَدِيدًا أَوْ رَمْلاً ، نُحَاسًا أَوْ وَرقًا ، سَائِلاً أَو صُلْبًا ، غَازِيًّا أَوْ جَامِدًا ، كُلُّهُ كَهَارِبُ وَاحِدَةٌ لَا اخْتلَافَ فى تَرْكِيبِهَا . . وَلَا تَعَددَ فِي أَشْكَالِهَا . . وَإِنمَا يحْدُث الاختِلافُ فِى شكْلِ مَادَّة عَن الْأُخْرَى بِاختلَافِ اهْتِزَازِ هٰذِهِ الْكَهَارَبِ . وَبِتَغَيُّرِ دَرَجَةِ الاهْتِزَازِ يُمْكِنُ تَغَيُّر الْمَادَّةِ إِلَى أُخرى .... وَكُل الْخَلَايَا الْحَيَّةِ الَّتى فى الْوُجُودِ تَرْكِيبُهَا وَاحِد . . وَأَسَاسُهَا وَاحِد . . ثُمَّ هٰذَا النِّظَامُ الْحِسَابِى الدَّقِيقُ أَلَا يُشِيرُ إِلَى خَالِقٍ وَاحِد . . قَدَّرَ وَقَرَّرَ . . فَسَارَ الْوُجُود عَلَى مَا شَاءَ . . فَلَوْ كَانَ فى الْوُجُودِ غَيْرُ اللهِ . . لَوُجِدَ الاخْتلَافُ فِى مِثْلِ هٰذَا الْحساب الدَّقِيقِ ، وَلَمَا وُجدَ هٰذَا التَّنَاسُقُ الْعَجِيب ، وَلَمَا استَمر طِوَالَ هٰذَا الزَّمَنِ السَّحِيق . .

وَإِذَا تَأَمَّلْنَا شَكْلَ الْإِنسَان وَجَدْنَاهُ دَلِيلاً قَاطعًا عَلَى وَحْدَانيَّةِ الله فَيَعِيش حَالِيًّا ستة آلَافِ مِلْيُون إِنسَان ، وَقَدْ خلِقَ مِنْ قَبْل مِئَات الْأُلُوفِ مِنَ

الْمَلَايِين . . فَهَلْ تَصَادَفَ أَنْ تَمَاثَلَ بعضُ الخلقِ فِي الشَّكْلِ بالرَّغْم مِنْ أَنَّ الاخْتِلَافَ يَكُونُ فى شَكْلِ الْوَجْه ؟ . . وَمِسَاحَة الْوَجْهِ قَلِيلَةٌ جدًّا . . وَبِهِ عَيْنَان وَحَاجِبَان وَأَنْفٌ وَفَم وَأُذُنَان ، وَكُلُّ هٰذِهِ فِي أَمَاكِنَ مُحَدَّدَة مِنَ الْوَجْهِ . . فكَانَ لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ الشَّبَهِ . . أَوْ أَنَّ الاحْتِمَالَ لِوُجُودِ الشَّبَهِ كَبِير وَكَبِير جدًّا . . وَلٰكِنْ لَمْ يَتَّفِقْ اثْنَان عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ فِي الشَّبَهِ إِطْلَاقًا . . أَلَيْسَ ذٰلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِد . . ؟ . . وَإِلَّا لَوْ كان يوجَد خَالِقَانِ . . لَظَهرَت أَفْرَاد مُتَشَابِهَة . . وَلَوْ عَنْ طَرِيق الصُّدْفَةِ . . وَلٰكِنَّ وُجُودَ الْخَالِقِ الْوَاحِدِ . . يؤَكدُهُ عَدَم وُجُودِ التَّشَابُهِ إِطْلَاقًا فى الْإِنْسَان . . إذ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُ تَمَّ عَن طَرِيق خَالِق وَاحِدٍ يَعلَمُ وَلذلِكَ لم يَتَشابه فَردَانِ .

ثُمَّ هَلْ يُوجَدُ أَكْثَرُ مِنْ إِله وَاحِد . . وَتَظَلُّ الْحَيَاةُ وَالْوُجُودُ طِوَال هٰذِهِ الْمَلَايين مِنَ السِّنِينَ دُونَ أَنْ يَظْهَرَ أَثَرٌ لاخْتِلَافِ الآلهَةِ ؟ . . وَمَهْمَا كَانَ هٰذَا الاخْتِلَافُ بَسِيطًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْعَكِسَ عَلَى الْوُجُودِ . . وَيَظْهَرَ أَثَرُهُ . . وَلٰكِنَّ بَقَاءَ الْحَيَاةِ وَالْوُجُودِ بِهذِهِ الصورَةِ الْوَاحِدَةِ طِوَالَ هٰذِهِ الْمُدَدِ الطَّوِيلَةِ إِنَّمَا يُؤَكِّدُ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ . . وَفِي ذٰلِكَ يَقُولُ الْقُرْآن الْكَرِيمُ :

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَة إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ الله رَب الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفون) . [٢٢ سورة الأنبياء]

وَمَا يُقَالُ عَنِ التَّعَدُّدِ يُقَالُ عَنِ الْبُنُوَّةِ . . فَلَا يُمْكِنُ أَن يَتَّخذَ اللهُ لَهُ وَلَدًا . . إِذ مَا دَامَ قَدْ خَلَقَهُ . . فَهُوَ عَبدٌ للهِ . . وَمَتَى . . وَكَيْفَ . . يَتَّخذ اللهُ لَهُ وَلَدًا ؟ . . وَلَيْسَتْ لَهُ صَاحِبَةٌ . . وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ لَهُ . . إِذْ أَنَّه سُبْحَانَه وَتَعَالَى لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لهُ مِثْلٌ . . وَوُجُودِ الصَّاحِبَةِ يَسْتَلْزِمُ أَنَّهَا

تَكُونُ عَلَى مِثْلِهِ . . وَمَاذَا يَكُونُ دَوْرُ الْوَلَدِ فِى الْوُجُودِ ؟ . هَلْ يُشَارِكُ فِى قِيَامِ الْكَوْنِ وَفِى الْخَلْقِ . . وَهٰذَا يَنْفِيهِ مَا سَبَقَ . . وَصَدَقَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِذْ يَقُولُ :

(مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَد وَمَا كَانَ معه مِن إِله إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِله بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ) .

[٩١ سورة المؤمنون]

فَلَا إِله إِلَّا الله . . صِدْقًا وَحَقًّا . . وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

وَاللهُ بِلَا شَك سَابِقٌ عَلَى الْوُجُودِ . . أَى وُجُود . . وَكُل وُجُود . . فَهُوَ لِذَلِكَ الْأَوَّلُ وَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْء . . بِدَلِيلِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَ هٰذَا الْوُجُودَ . . وَلَا بُدَّ أَنَّهُ بَعْدَ كُل شَيْءٍ . . لأَنَّ كُلَّ مَا فِى الْوُجُودِ يَتَغَيَّرُ ، وَتَغَيرهُ إِنَّمَا لِيحْمِلَهُ إِلَى نِهَايَة . . مهْمَا بَعُدَتْ هٰذِهِ النِّهَايَةُ . . وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِى لَا يَتَغَيَّرُ وَهُوَ الَّذِى قَرَّرَ هٰذِهِ النِّهَايَةَ وَقَدَّرَ صُوَرَهَا . . وَفِى نِهَايَةِ الْوُجُودِ . . وَبَعْدَ نِهَايَتِهِ سَيَكُون اللهُ . . وَحْدَهُ . . فَهُوَ بِذلِكَ الآخِرُ . . وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى كُلِّ وَحْدَاتِ هٰذَا الْوُجُودِ مِنْ إِنْسَان وَحَيَوَان . . وَطَيْرٍ وَنبَات . . وَشَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ وَأَفْلَاك . . وَجَدْنَا آيَاتِ اللهِ . . وَاضِحَةً جَلِيَّةً فَهُوَ الظَّاهِرُ . . وَإِذَا شَقَقْنَا ذَرَّةً وَجَدْنَا الْكَهَارِبَ دَاخِلَهَا تَدُورُ حَوْلَ قُوَّة تُعْتَبَرُ هِيَ بِدَايَة الْوُجُودِ . . وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَجَدْنَا دَاخِلَهَا . . أَسْرَارًا تُشِيرُ كُلُّهَا إِلَى قُدْرَةِ اللهِ . . وَنَجِدُ مَا فَوْقَ هٰذِهِ الْأَسْرَار الَّتى يَعْجَزُ الْإِنْسَانُ عَنْ مَعْرفَتِهَا . . فَهُوَ الْبَاطِنُ .

واللهُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِى الْوُجُودِ وَمَا بَعْدَهُ وَمَا قَبْلَهُ . . يَعْلَمُ الْأَمْسَ

وَمَا فِيهِ . . وَالْغَدَ . . وَمَا يَأْتِي بِهِ . . مَا يَظْهَرُ وَمَا لَا يَظْهَرُ . . وَيَعْلَمُ مَا تَمَّ . . وَمَا لَمْ يَتِمَّ . . أَيْنَمَا كَانَ الْمَصْدَرُ فِي السَّمَاءِ أَوْ تحت الْأَرْضِ . . فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . . وَعِلْمُ اللهِ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ مَا نَعْلَمُ . . لأَنَّ عِلْمَه جَلَّ شَأْنُهُ لَمْ يَسْبِقْهُ جَهْل . . وَلَا يَعْتَرِي عِلْمَهُ نِسْيَانٌ أَوْ ضَعْف . . يَعْلَمُ مَا نَقُولُ وَمَا لَا نَقُولُ . . مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نُفُوسُنَا . . وَمَا تُخْفِيهِ صُدُورُنَا . . وَيَعْلَمُ مَا نَعْمَلُهُ . وَيَعْلَمُ مَا لَا نَعْمَلُهُ . . وَمَا نُحِبُّ أَنْ نَعْمَلَهُ . . وَهُوَ السَّمِيعُ . . وَلٰكِنْ لَيْسَ كَمَا نَعْهَدُ . . وَهُوَ الْبَصِيرُ . . وَلٰكِنْ لَيْسَ كَمَا نَعْرِفُ . . وَهُوَ الْعَلِيمُ وَلَيْس مِنْ جِنْسِ مَا نَعْلَمُ . . تَعَالَى اللهُ عَنْ ذٰلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا . . وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَإِذَا كَانَ هٰذَا الْوُجُودُ هُوَ مَا خَلَقَهُ . . فَكُلُّ مَا يَقَعُ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ ما أَرَادَهُ وَمَا كَتَبَهُ . . فَهُوَ الرَّزَّاق وَهُوَ الشَّافِي . . وَهُوَ الْمُعِزُّ . . وَهُوَ الْمُذِل . . وَهُوَ الْخَافِض وَهُوَ الرَّافِعُ . . وَبَدِيهِي أَنَّهُ هُوَ الْحَي الْقَيُّومُ الَّذِي لَا تَأْخذهُ سِنَةٌ ولا نومٌ واللهُ سُبحانهُ وتَعالى لَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ . . لأَنَّ الْحَرَكَةَ تَقْتَضِي أَنْ يَكُون الْمَكَانُ أَكْبَر مِنَ الْمُتَحَرِّكِ . . وَاللهُ أَكْبَرْ . . وَلَيْسَ أَكْبَرَ مِنْهُ . . بَلْ لَيْسَ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . . وَصَدَقَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِذْ يَقُولُ :

(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولدْ . وَلَمْ يَكُن له كُفُوًا أَحَد) . [سورة الإخلاص]

محمّد رسُول الله

أَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رُسُلاً وَأَنْبِيَاءَ لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ كُلَّمَا دَعَتْ حَاجَةُ الْأَقْوَامِ إِلَى هِدَايَتِه . وَكُلَّمَا ضَلَّ النَّاسُ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ . . وَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ هٰؤُلَاءِ الرُّسُلُ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ وِمنْ بَيْنِ الْقَوْمِ وَإِلَّا مَا اسْتَجَابَ النَّاسُ لَهُمْ . . فَلَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ الرُّسُلُ مَثَلاً مَلَائِكَةً بِلَا أَجْسَامٍ . . كَيْفَ يَتَفَاهَمُونَ مَعَ الْقَوْمِ ؟ . . وَبِأَىِّ لُغة ؟ . . وَلَوْ كَانُوا مَلَائِكَةً بِأَجْسَاد . . هَلْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ ؟ وَحَتَّى لَوْ أَكَلُوا وَشَرِبُوا وَأَصْبَحُوا كَالْبَشَرِ فَإِنَّ الاخْتلافَ الشَّدِيدَ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُمْ فى الْأَصْلِ يَجْعَلُ النَّاسَ يَنْفِرُونَ مِنْهُمْ وَلَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِمْ . . فَقَدْ يَقُولُونَ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ سَحَرَةٌ . . وَأَمَّا الَّذِينَ تُنْقَلُ لَهُمْ أَخْبَارُهُمْ فَقَدْ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ خُرَافَةٌ . . إِذْ أَنَّ الَّذِينَ يُنْكِرُون وُجُودَ اللهِ بِالرغْمِ مِنْ آيَاتِهِ الْوَاضِحَةِ وَيَعْبُدُونَ الْأَوْثَان وَالْأَصْنَامَ وَقَدْ صَنَعُوهَا بِأَيْدِيهِمْ إِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ مُغَالِطُونَ . . يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَلٰكِنَّهُمْ يَبْتَعِدُونَ عَنْهُ . . وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَاطِلِ وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ . . وَأَمْرُ هِدَايَتِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى تَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَيْهِ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَان وَنِقَاش وَجِدَالٍ وَإِقْنَاعٍ . . وَمَا مِنْ وَسِيلَة أَفْضَلُ لِذٰلِكَ مِنْ مُنَاقَشَةِ الْإِنْسَانِ لإِنسانٍ مِثْلِهِ يَعْرِفُهُ وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ . . يَفْهَمُهُ وَيَفْهَمُ مِنْهُ . .

وَيُحَدِّثُهُ وَيَتَحَدثُ إِلَيْهِ . . لِذٰلِك فَإِنَّ كَافَّةَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا كَانُوا بَشَرًا مِنْ نَفْسِ الْأَقْوَامِ الَّتِى يُرْسَلُونَ لَهَا . . وَحَتَى يَطْمَئِنَّ الْأَقْوَامُ إِلَى أَنَّ رُسُلَهُمْ حَقًّا قَدْ أَرْسَلَهُم اللهُ لَهُمْ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَيَّدهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِى تَقْطَعُ بِأَنَّهُمْ كَذٰلِكَ . . وَحَتَى هٰذِهِ الْمُعْجَزَاتُ لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ مِنْ جِنْس مَا اشْتَهَرَ بِهِ الْقَوْمُ حَتى يُمْكِنَهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْمُقَارَنَةِ الاطْمِئْنَانُ إِلَى رَسُولِهِمْ . . وَإِلَّا لَظَنُّوا فِيهِ السِّحْرَ أَوْ تَصَوَّرُوا فى أَنْفسِهِمْ الْوَهم . . وَهٰكَذَا أَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِن الْبَشَرِ رُسُلا لَا يَعْرِف التَّارِيخُ عَدَدَهُمْ ؛ فَمِنْهُمْ كَثْرَةٌ أُرْسِلُوا قَبْلَ التَّارِيخِ وَمِنْهُمْ قِلَّةٌ كَتَبَ التَّارِيخَ عَنْهُمْ . .

فَهٰؤُلاَءِ هُمْ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحٰق وَيَعْقُوب وَأَيُّوب وَيُونُس وَسُلَيْمَان وَدَاوُد وَصَالِح وَلُوط وَهُودٌ وَشُعَيْبٌ وَإِلْيَاسُ وَيُوسُف وَإِدْرِيسُ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيِى وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، وَقَدْ كانُوا جَمِيعًا عِبَادًا للهِ مِنَ الْبَشَرِ اخْتَارَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَقْوَامِهِمْ وَخَصَّهُمْ بِرِسَالَتِهِ وَوَحْيِهِ . . وَمَا كانُوا إِلاَّ كَغَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَر أَيَّدَهُمُ اللهُ بِمعْجِزَات لِتَكُونَ دَلِيلَهُمْ عِنْدَ قَوْمِهِمْ . . وَهٰذِهِ الْمُعْجِزَاتُ إِنَّمَا كانَتْ مِنْ صَمِيمِ مَا أَلِفُوهُ . . وَمِنْ جِنْسِ مَا عَرَفُوهُ . . وَمِنْ نَفْسِ مَا بَرَعُوا فِيهِ . . فَمَثَلاً كانَ قَوْمُ مُوسَى قَدْ بَرَعُوا فى السِّحر . . وَكَان أَعْظَمُ صُوَرِ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ يُلْقُونَ حِبَالاً عَلَى الأَرْضِ فَيُخَيَّلُ للنَّاسِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَتَحَرَّكَ وَتَسْعَى . . فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى وَأَعْلَنَ لَهُمْ أَنَّهُ قَدْ أَوْحَى اللهُ لَهُ بِرِسَالَة لَهُمْ سَأَلُوهُ عَنْ دَلِيلِهِ . . فَجَمَعَ السَّحَرَةَ ، حَتَّى إِذَا أَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَتَحَرَّكَتْ أَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَهتَزُّ وَتَبْتَلعُ كُلَّ حِبَالهمْ . . وَعِنْدَئِذ آمَنَ السَّحَرَةُ

ثُمَّ بَاقِى الْقَوْمِ بِأَنَّ مُوسى لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ فِعْلاً مُؤَيَّدًا مِنَ اللهِ بِدَلِيلِ مَا رَأَوْهُ . . وَأُرْسِلَ عِيسَى لِقَوْمٍ كانَ الطِّبُّ فِيهِمْ أَمْرًا مَشْهُورًا ، وَكِفَايَتُهُمْ فِيهِ حَقًّا مَشْهُودًا . . وَلٰكِنَّ هُنَاكَ أَمْرَاضًا لَمْ يَكُنِ الطِّبُّ قَدْ وَصَلَ إِلَى عِلاَجِهَا كالْبَرَصِ وَالْخَرَسِ . . وَعِندَمَا قَامَ عِيسَى يُعْلِنُ لَهُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ . . كَذَّبُوهُ وَحَارَبُوهُ . . فَلمَّا عَالَجَ الأَكْمهَ وَالأَبْرَصَ عَادُوا مَرَّةً أُخرى يُفَكِّرُونَ فى أَمْرِهِمْ وَأَمْرِهِ . . وَيَتَدَبَّرُون شَأْنَهُمْ وَشَأْنَهُ . . إِذْ كَيْفَ عَالَجَ مِثْلَ هٰذِهِ الأَمْرَاضِ الَّتِى فَشِلُوا هُمْ فى عِلاَجِهَا . . ثُمَّ فَاجَأَهُمْ بِالْمُعْجزَةِ الْكُبْرَى . . لَقَدْ أَحْيَا مَيِّتًا بِإِذْنِ اللهِ . . وَخَلَقَ مِنَ الطِّينِ شَكْلَ طَيْرٍ فَنَفَخَ فِيهِ فَأَصْبَحَ طَيْرًا بِأَمْرِ اللهِ . . فَهَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ مَهْمَا كَانَ عِلْمُهُ وَطِبُّهُ . . يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ بِذٰلِكَ ؟ لَقَدْ نَاقَشُوا مَا قَامَ بِهِ مُنَاقَشَةً حَاسِمَةً . . فَهُمْ خَيْرُ مَنْ يَحْكُمُ عَلَى مَا يَعْمَلُ . . لأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ مَا يَعْمَلُونَ . . فَآمَنُوا بِهِ . . وَكَذٰلِكَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ أَرْسَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ قَوْمٍ صِنَاعَتهُمْ الْكَلاَمُ وَبِضَاعَتُهُم الْكِتَابَةُ ، فَعِنْدَمَا تَلاَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ اللهِ . . دَعَاهُمْ لأَنْ يَأْتُوا مُجْتَمِعِينَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ بَلْ بِآيَة مِنْهُ . . فَعَجَزُوا . . وَآمَنُوا . .

وَلَقَدْ تَطَوَّرَ إِيمَانُ بَعْضِ النَّاسِ بِرِسَالَةِ رُسُلِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَرْتَفِعُوا بِمَقَامِهِمْ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ للهِ إِلَى مَا فَوْقَهَا . . فَقَالَ الْبَعْض إِنَّ رَسُولَهُمْ هُوَ ابْنُ اللهِ . . وَقَالَ غَيْرُهُمْ بَلْ إِنَّهُ هُوَ اللهُ . . وَقَالَ الْبَعْضُ إِنَّهُمْ لاَ يَجْرِى عَلَيْهِمْ مَا يَجْرِى عَلَى الْبَشَرِ . . وَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ . . وَاسْتَمَرَّ كُفْرُ بَعْضِ النَّاسِ بِرِسَالاَتِ اللهِ . . فَكَفَرُوا بِرُسُلِهِ وَظَنُّوا فِيهِمْ ظَنَّ السَّوْءِ . . فَقَالُوا إِنَّهُمْ لَمْ يُرْسَلُوا وَلَمْ يُبْعَثُوا . . وَإِنَّهُمْ قَوْمٌ مُفْتَرُون . .

وَحتَّى لاَ يَضِلَّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بَعْدُ . . فَإِنَّ الإِسْلاَمَ يَشْتَرِطُ على الْمُسْلِمِ أَنْ يَشْهَدَ . . حَقًّا وَصِدْقًا . . بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ . . فَهُوَ بَشَرٌ كَغَيْرِهِ مِنَ الْبشَرِ . . يَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ . . وَيَشْرَبُ كَمَا يَشْرَبُونَ . . وَعَاشَ كَمَا يَعِيشونَ وَمَاتَ كَمَا يَمُوتُونَ . . إِلاَّ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنْهُمْ فى أَنَّهُ أُرْسِلَ مِنَ اللهِ . . فَهُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ الرّسُلِ تَمَامًا . . إِلاَّ أَنَّهُ أُرْسِلَ للنَّاسِ كَافَّةً وَلَيْسَ لِقَوْمِهِ فَقَطْ . كَغَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ . . وَأَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسُلِ وَالنَّبِيِّينَ فَلاَ رَسُولَ بَعْدَهُ وَلاَ نَبِى خَلْفَهْ . . وَأَنَّ دَلِيلَ رِسَالَتِهِ هُوَ الْقُرْآن الْكَرِيمُ الْمُعْجِزَةُ الْخَالِدَةُ الأَبَدِيَّةُ الَّتى سَتَظَل أَبَدَ الآبِدينَ مَوْضِعَ الإِقْنَاعِ لِكُل مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْحَثَ أَوْ يَدْرُسَ أَوْ يَعْرِف . . وَصَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ الذِى يَقُولُ عَنْهُ فِى قُرآنِهِ الكَرِيمِ :

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَت مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) .

[١٤٤ سورة آل عمران]

أهْداف الشهادة

لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللهُ . . مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ . .

أَلَيْسَ ذٰلِكَ حَقًّا . . وَصِدْقًا . . ؟

فَاللهُ مَوْجُودٌ . . وَلاَ رَبَّ غَيْرُهُ . . وَمُحَمَّدٌ رَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ . . فكلُّ مَنْ شَهِدَ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ قَرَّرَ حَقِيقَةً وَاقِعَةً لاَ شَكَّ فيهَا وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَوْضِعَ الْجَدَلِ أَوْ الرِّيبَةِ . . وَقَدْ أَيَّدَ الْعَقْلُ وَالْمَنْطِقُ وَالْعِلْمُ هٰذِهِ الْحَقِيقَةَ . . فَهَلْ يَا تُرَى هٰذِهِ الشَّهَادَةُ الَّتِى يَشْهَدُ بِهَا الإِنْسَانُ . . وهِيَ شَهَادَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ . . إِذَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لاَ يَسْتَفِيدُ بِهَا قَطْعًا . . فَلاَ يَزِيدُ فِى مُلْكِهِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْبشرُ عَلَيْهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ شَأْنِهِ كفرُ الْعَالَمِين بِهَا . . أَلاَ يَسْتَفِيدُ بِهَا الطَّرَف الآخَرُ . . وَهُوَ الإِنْسَان ؟

كَانَ الْمَعْرَوفُ أَنَّ هٰذِهِ الشَّهَادَةَ هِيَ سَبِيلُ الْفَوْز فِى الآخِرَةِ وَهِيَ طَرِيق الْجَنَّةِ . . بَلْ لاَ طَرِيق لِلْجَنَّةِ بِدُونِهَا . . لأَنَّهَا أَسَاسُ الإِيمانِ المَتِينْ . . وَرُكْنُ الإِسْلاَمِ الرَّكِينُ .

وَلكِنَّ الْعِلْم بَعْد أَنْ اتَّسعَتْ آفَاقُهُ وَتَنَوَّعَتْ درَاسَاتُهُ . أَثْبَتَ أَنَّ هٰذِهِ الشَّهَادَةَ لَهَا أَثَرُهَا عَلَى الإِنْسَانِ فِى حَيَاتِهِ ، وَأَنَّهَا تُعْتَبَرُ سَبِيلَ سَعَادَتِهِ . . وَوِقَايَةً لَهُ مِنْ أَخْطَرِ أَمْرَاضِ الْحَيَاةِ ، بَلْ وَعِلاَجًا لَهَا . . فَالنَّفْس ذَات تَأْثِير

مُبَاشِرٍ وَكَامِلٍ عَلَى الْجِسْمِ بِجميعِ أَجْهِزَتِهِ . . فَإِذَا صَفَتِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّت انْعَكَسَ ذٰلِكَ عَلَى الْجِسْمِ فَأَمْكَنَ لِلْجهَازِ الْهَضْمِيِّ أَنْ يَقُومَ بِعَمَلِهِ عَلَى خَيْرِ وَجْه . . وَقَدْ أَثْبَتَتِ التجارِبُ الطبيةُ أَنَّ النَّفْسَ الْقَلِقَةَ تُوقِفُ الْهَضْمَ وَتُسَبِّبُ لِلْجِسْمِ آلاَمَ عُسْرِ الْهَضْمِ . . كَمَا أَنَّ طمَأْنِينَةَ النَّفْسِ تَجْعَلُ الْقَلْبَ يَدْفَعُ الدَّمَ فى الشَّرَايِينِ بِانْتِظَام . . أَمَّا النَّفْسُ الْمُضْطَرِبَةُ فَإِنَّهَا تُؤَثِّرُ عَلَى الْقَلْبِ إِذْ تَخْتَلِفُ ضَرَبَاتُهُ . . وَتضُرُّ شَرَايِينَهُ . . وَأَمَّا الْجِهَازُ الْعَصَبِىُّ الذِى يُسَيْطِرُ عَلَى كَافَةِ الْحَوَاسِّ وَيُؤَثِّرُ فِى الْعَقْلِ وَالْمُخِّ تَأْثِيرًا قَوِيًّا . . فَإِنَّهُ يَتْبَعُ النَّفْسَ فى أَحْوَالِهَا . . وَلَقَدْ وَصَلَ الْعِلْمُ إِلَى نَتِيجَة قَاطِعَة مُؤَكَّدَة هِيَ أَنَّ أَهَمَّ مَا يُسَبِّبُ صَفَاءَ النَّفْسِ وَيَبْعَثُ السَّكِينَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ فِى الإِنْسَانِ هُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ . . فَالَّذِى يَشْهَدُ بِعَيْنَيْهِ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله حَقًّا . . وَنَطَقَ بِهَا بِلِسَانِهِ . . صِدْقًا . . وَاسْتَقَرَّتِ الشَّهَادَةُ بِذَلِك فى قَلْبِهِ . . وَرَسَخَتْ فى وِجْدَانِهِ لاَ يُفْزِعُهُ كَرْبٌ . . وَلاَ يُثِيرُهُ أَمْرٌ . . وَلاَ يَيْئَسُ مِنْ فَشَلٍ . . وَلاَ يَغْتَرُّ بِنَجَاحٍ . . فَالطَّالِبُ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ حَقَّ إِيمَانِهِ إِذَا لَمْ يُوفَّقْ مَرَّةً فى امْتِحَانِهِ لاَ يَفْزَعُ وَلاَ يَيْئَسُ وَلاَ يَلْجَأُ إِلَى مَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِمَّنْ لاَ يَعْمُرُ الإِيمَانُ قُلُوبَهُمْ . . مِنْ تَرْكِ الدِّرَاسَةِ أَوْ الانْزِوَاءِ عَنِ الْحَيَاةِ . . بَلْ إِنَّهُ يُعَاوِدُ الْكَرَّةَ . . وَيُجَدِّدُ نَشَاطَهُ إِيمَانًا مِنْهُ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ كَتَبَ لَهُ مَا نَالَهُ وَأَنَّهُ إِذَا بَذَلَ جُهْدًا أَكْبَرَ . . وَاسْتَوعَبَ دَرْسَهُ لِوَقْت أَكْثَرَ . . فَإِنَّ الله لَنْ يَتْرُكَهُ . . وَأَنَّ النَّجَاحَ وَالْفَشَلَ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى الإِنْسَانِ . . لِحِكْمَة يَعْلَمُهَا هُوَ سُبْحَانَهُ . . وَتَخْفَى عَلَى الإِنْسَانِ . . فَلاَ اعْتِرَاضَ إِطْلاَقًا عَلَى مَا شَاءَ اللهُ . . إِذْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ . .

وَالتَّاجِرُ إِذَا خَسِرَ مَرَّةً فى تِجَارَتِهِ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللهِ حَمِدَ الله . . إِذْ أَنَّهُ

يَعْتَقِدُ تَمَامًا أَنَّهُ لاَ يَقَعُ فِى مُلْكِهِ إِلاَّ مَا يَشَاءُ . . وَمَا دَامَتْ مَشِيئَةُ اللهِ فِيمَا كَانَ فَإِنَّ ذٰلِكَ هُوَ الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ . . وَإِذَا رَبِحَ فِى تِجَارَتِهِ لَمْ يَغْتَرَّ بِمَا كَسَبَ . . اعْتِقَادًا مِنْهُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِى كَتَبَ لَهُ مَا كَسَبَ . . وَفِى الْحَالَيْنِ لاَ يَقْتُلُهُ الْحُزْنُ إِذَا خَسِرَ . . لأَنَّهُ لَمْ يَحْزَنْ بِمَا خَسِرَ . . وَلاَ يُثِيرُهُ الْفَرَحُ إِذَا كَسَبَ . . لأَنَّهُ لَمْ يَفْرَحْ بِمَا كَسَبَ . . إِنَّمَا هُوَ دَائِمًا أَبَدًا يَحْمَدُ اللهَ . . وَيَطْمَئِنُّ بِمَا كَانَ فَيَعِيشُ حَيَاتَهُ بَعِيدًا عَنْ أَعَاصِيرِ الْهَزَّاتِ النَّفْسِيَّةِ وَفِى وِقَايَة مِنَ الْقَلَقِ . . الَّذِى يُعْتَبَرُ أَخْطَرَ مَا يُصِيبُ إِنْسَانَ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ . . إِذْ لاَ يَبْعَثُ الْقَلَقَ فِى النَّفْس إِلاَّ التَّرَقُّب وَالتَّحَفُّز والانْتِظَارُ وَالإِثَارَةُ . . وَالْمُؤْمِنُ بِاللهِ فِى حَصَانَة مِنَ الْقَلَقِ . . وَفِى أَمَان مِنْه . .

وَالزَّارِعُ وَالْعَامِلُ وَالرَّجُلُ فِى بَيْتِهِ وَالأُمُّ بَيْنَ أَوْلاَدهَا كُلُّ هٰؤُلاَءِ . . يُضْفِى عَلَيْهِم الإِيمَانُ بِاللهِ السَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ بِمَا يَبْعَثُهُ فِى نُفُوسِهِمْ مِنْ رِضَاءٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ . . وَطُمَأْنِينَة لِلْبَال . . وَتَسْلِيمٍ لِكُلِّ أُمُورِهِمْ لله . .

وَالإِيمَانُ بِاللهِ . . يَقِى الإِنْسَانَ مِنْ شُرُور كَثِيرَة تُصِيبُهُ فِى حَيَاتِهِ الْحَاضِرَةِ . . فَالْمُؤْمِنُ بِاللهِ لاَ يَحْقِدُ وَلاَ يَحْسُدُ . . لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ أَصَابَ غَيْرَهُ . . مَا كَانَ لِيُصِيبَهُ . . وَأَنَّ كُلَّ شَر نَزَلَ بِهِ . . مَا كَانَ لِيُخْطِئَهُ . . فَإِذَا رَأَى زَمِيلاً لَهُ أَوْ جَارًا . . فَازَ بِمَا لَمْ يَفُزْ بِهِ لاَ يَحْقِدُ عَلَيْهِ . . بَلْ يَفْرَحُ لَهُ . . إِيمَانًا مِنْهُ بِأَنَّ هٰذِهِ هِىَ إِرَادَةُ اللهِ . . وَإِذَا تَنَافَسَ مَعَ غَيْرِهِ فَكَسَبَهُ هٰذَا الْغَيْرُ . . لاَ يَحْسُدُهُ . . وَلاَ يُبْغِضُهُ . . اعْتِقَادًا مِنْهُ . . بِأَنَّ مَا كَانَ هُوَ مَشِيئَةُ اللهِ . .

وَالْمُؤْمِنُ بِاللهِ . . يَكْتَسِبُ بِإِيمَانِهِ هٰذَا مِنَ الْخُلُق أَحْسَنَهُ . . وَمِنَ

الأَدَبِ أَكْمَلَهْ . . فَهُوَ يَعْتَقِدُ بِأَنَّ اللهَ يَسْمَعُ وَيَرَى . . وَيَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِهِ . . لِذٰلِكَ نَجِدُهُ لاَ يَرْتَكِبُ إِثْمًا . . وَلاَ يُفَكِّرُ فِى ذَنْبٍ وَلاَ يَعْصِى اللهَ أَبَدًا . . فَهَلْ مَنْ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ مَعَهُ دَائِمًا . . يَرْتشِى أَوْ يُذْنِبُ . . أَوْ يُهْمِلُ فِى عَمَلٍ . . أَوْ يُسِىءُ لِغَيْرِهِ . . ؟

وَالْمُؤْمِنُ بِاللهِ . يَعْتَزُّ بِكَرَامَتِهِ . . وَيَحْتَفِظُ بِعِزَّتِهِ فَإِنَّ الرَّازِقَ هُوَ اللهُ . . وَلاَ غَيْرُهُ . . وَالْمُعْطِى هُوَ اللهُ . . وَلاَ غَيْرُهُ . . فَنَجِدُهُ لاَ يُنَافِقُ وَلاَ يَكْذِبُ وَلاَ يُرَائِى . .

وَالْحَدِيثُ عَنْ آثَارِ الشَّهَادَةِ وَأَهْدَافِ الإِيمَانِ بِالنِّسْبَةِ لِلإِنْسَانِ فِى الدُّنْيَا لاَ يَقَعُ تَحْتَ الْحَصْرِ . . وَأَمَّا جَزَاءُ الشَّهَادَةِ فِى الآخِرَةِ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قَدْ أَوْضَحَهُ وَمَا أَحْسَنَهُ مِنْ جَزَاءٍ . . وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ نَعِيمٍ ، إِذْ يَقُولُ فِيهِ :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ . دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

صدق الله العظيم

[٩ – ١٠ سورة يونس]

مطابع الشروق

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤ - برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN